الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

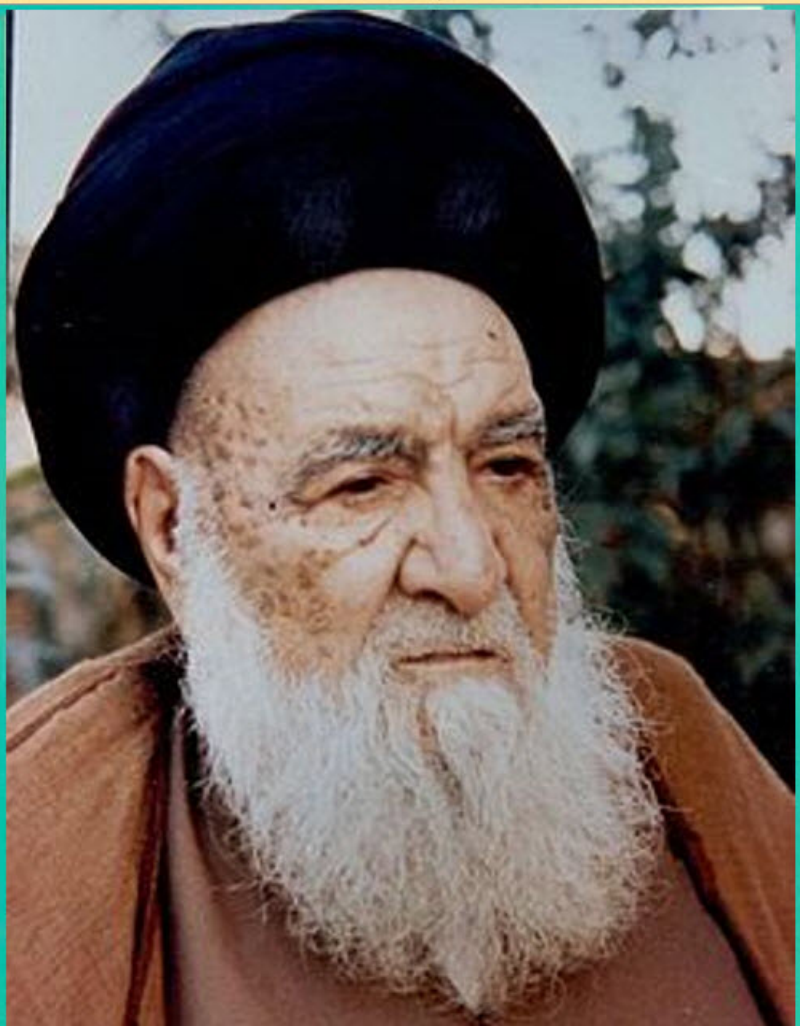

آرشيو فرهنگستان
إدارة تخصصي آثار الحديثة
٣١٤٣٠

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

Shiabooks.net

الإمام الخوئي
مدرسة في التفسير والحديث
رحيل أحد عمالقة الفقه الإسلامي

«إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء» بهذا الحديث النبوي الشريف استهل البيان الصادر عن العلماء المسلمين في المملكة المتحدة والولايات المتحدة حيث نعوا فيه وفاة المرجع الديني الأكبر للمسلمين الشيعة آية العظمى السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي الذي توفي في مدينة الكوفة بعد ظهر السبت الثامن من صفر ١٤١٣ والموافق للثامن من آب (أغسطس) ١٩٩٢ . ولقد ذكر بيان النعي الصادر عن مؤسسة الخوئي الخيرية في لندن بأن الإمام الخوئي لبى نداء ربه في ظروف غامضة لم تعرف تفاصيلها إلى الآن . وأكد البيان الثاني الصادر عن المؤسسة ذاتها في ٩٢/٨/٩ بأن النشرات الصحية لسماحته كانت مطمئنة قبيل وفاته المفاجئة . وعبر البيان عن القلق الكبير ازاء ظروف وفاة الفقيد الغامضة وأكد بأن السلطة ماضية لارتكاب المزيد من الجرائم بحق أسرة الفقيد وعلماء وطلبة الحوزة العلمية ، خاصة وأن سلسلة من الخطوات قد أقدمت عليها بدءاً بإنزال القوات المسلحة الخاصة في مدينة النجف الأشرف (حيث مرقد الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه) وضواحيها وفرضت منع التجول فيها وفي بعض المدن الأخرى . كما أقدمت السلطات الحاكمة في بغداد على قطع الاتصالات الهاتفية عن مكاتب السيد الفقيد في النجف والكوفة وأجبرت ذوي الفقيد على دفن جثمانه الشريف ليلاً كما منعت الجماهير العراقية من حضور مراسم التشييع والدفن .

جاء نبأ وفاة الإمام الخوئي (رحمه الله) في ظرف عصيب يمر به المسلمون وخاصة في العراق وكان رد الفعل المباشر لوفاته التعبير عن مشاعر الحزن في أقطار العالم الإسلامي وخاصة في المناطق الاسلامية الشيعية ، فأقيمت مجالس العزاء وانبرى العلماء لتأبين الفقيد وذكر مزاياه وهي كثيرة . وتطرق العديد منهم إلى المعاناة التي كابدتها مرجعيته العامة التي زادت على العشرين سنة . فقد أصدر الفقهاء الشيعة الكبار في العالم الإسلامي بيانات نعوا فيها السيد الخوئي ، واعتبر مرشد الجمهورية الاسلامية آية الله السيد علي خامنئي الوفاة بمثابة الخسارة الكبرى التي مُني العالم الاسلامي بها ، وأعلن الحداد لثلاثة أيام في ايران . وطلب السيد خامنئي أن يذهب وفد يمثله إلى النجف الأشرف لتعزية عائلة الإمام الفقيد . حتى الحكومة البعثية في بغداد والتي لاقى السيد الامام الخوئي ما لاقاه منها في حياته وبعد وفاته اضطرت إلى إعلان بيان عن حداد صوري لمدة ثلاثة أيام واصفة إياه بأنه نموذج للعالم «الوطني» .

منذ الساعات الأولى لوصول خبر وفاة

الإمام الفقيد بدأت المعلومات تصل إلى لندن وغيرها من العواصم حول ملابسات الوفاة . فقد أكد أحد أحفاده (السيد يوسف الخوئي) بأنه قد تم الاتصال بالفقيد قبل وفاته بيوم وكان بصحة جيدة . وقبل ساعات قليلة من وفاته لم يتمكن أحد من الاتصال بمسكنه حتى أعلن أنه انهار بعد ظهر السبت حينما كان يهم لأداء فريضة الظهر وقد وافاه الأجل فيما بعد . كان الامام الخوئي يشكو من أمراض عديدة وخاصة ما يتعلق بالقلب والتنفس . وقد أدخل المستشفى في بغداد في شهر تموز (يوليو) الماضي وأجريت له عملية جراحية ، تم فيها وضع جهاز لتنظيم حركة القلب ولقد تحسنت صحة السيد الخوئي كثيراً حتى جاء خبر الوفاة .

إن المسلمين يهتمون بعلمائهم وخاصة الكبار منهم والسيد الخوئي من كبار المراجع والعلماء . وخلافاً للقواعد الاسلامية السارية في تشييع العلماء بعد وفاتهم وتكريمهم بما يليق بمنزلته عندهم . ولقد شهد العالم اهتمام الشعب الايراني بتشييع الامام الخميني حين وفاته في الثالث من حزيران (يونيو) ١٩٨٩ ، فقد تجمع أكثر من عشرة ملايين انسان لتشييع جثمانه . وفي العراق حينما توفي المرجع الأعلى للشيعة السيد محسن الحكيم في الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٧٠ اشترك الملايين من العراقيين في تشييعه من بغداد حيث توفي في أحد المستشفيات إلى مثواه الأخير في النجف الأشرف . وخلال الطريق الذي يزيد على ١٦٠ كيلومتراً كانت الجماهير في كل مدينة تستقبل الجنازة وتقوم بتشييعها . وقد اضطر الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر إلى المشاركة في التشييع رغم المواجهة الكبيرة بين السيد محسن الحكيم وحكم حزب البعث .

إن خطوة السلطة الحاكمة بإكراه عائلة الفقيد على إجراء مراسيم الدفن بسرعة ودون تشييع من محبي الفقيد ومريديه ليست مفاجأة رغم خروجها على العادات الاسلامية وعلى تقاليد العراقيين في احترام علمائهم ومراجعهم الكبار ، فقد أقدم نظام صدام حسين من قبل على إعدام مرجع ومفكر إسلامي كبير هو السيد محمد باقر الصدر في نيسان (ابريل) ١٩٨٠ دون إعلان . وسلم جثمانه وأخته إلى ذويهما ودفن الشهيد الصدر في قبر لا يعرف مكانه إلا أفراد قلائل فضلاً عن عدم السماح بتشييعه أو حضور مراسم دفنه .

في عام ١٩٥٠ كتب أحد العلماء مقالاً عن السيد الفقيد قال فيه «هو من أبرز العلماء الأعلام والمراجع العليا الشهيرين في النجف نال المرجعية في التقليد وحاز التفرد في التدريس وجمع بين أصناف العلم ، وقرن بين العلم والتقوى ، وهو ممن لا نظير لجامعيته إلا في السلف الصالح من أساطين علمائنا وأعلام رجالنا» . وقال أيضاً ان السيد الخوئي رحمه الله «بلغ الانفراد في التدريس بفضل علمه وبيانه وجمع بين أصناف العلم وشدة انكبابه على الاطلاع والتتبع ، وقرن بين العلم والتقى لأخذه بالعمل الصالح من وراء العلم ، وتمسكه باتباع خطوات الدين» . (الموسم : العدد ٦) .

ولد السيد أبو القاسم الخوئي في خوي (من أذربيجان في ايران) في ١٥ رجب عام ١٣١٧ هـ الموافق ١٨٩٩ م قبل سبع سنوات من الثورة الدستورية في ايران ، وفي الفترة التي ازدهر فيها التوجه الغربي لاستعمار العالم الاسلامي بعد أن شارفت الدولة العثمانية على الانهيار وتهرأت الدولة الايرانية بسبب خضوعها لتنافس النفوذ الروسي الانكليزي . ولكنه نشأ كذلك في جو تعاظم إرادة العلماء الكبار الذي قادوا الثورة الدستورية في ايران . وكانت نشأته قد تزامنت مع بواكير الوعي الاسلامي الذي قاده زعماء النهضة مثل السيد جمال الدين الافغاني والعلماء الكبار في النجف الأشرف وايران . لم يمكث السيد الخوئي طويلاً في خوي فقد غادرها إلى النجف عام ١٣٣٠ هـ بعد عامين

من مغادرة والده قاصداً النجف مدينة العلم والخصب الفكري . كان عمر السيد الفقيد ١٢ سنة حين وصوله إلى النجف أي بعد أقل من سنتين على وفاة المرجع الكبير المؤيد للمشروطة (الدستور) الملا محمد كاظم الخراساني ، وقبل ثماني سنوات من نشوب الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ بزعامة الشيرازي الذي كان مقيماً في سامراء ثم انتقل إلى كربلاء وشيخ الشريعة الأصفهاني في النجف . وقبل ذلك كانت حركة الجهاد قد اندلعت عام ١٩١٤ بعد قيام الانكليز باحتلال مدينة البصرة وقادها العلماء كذلك من أمثال شيخ الشريعة الأصفهاني (وهو أحد أساتذة السيد الفقيد) والسيد محسن الحكيم والسيد سعيد الحبوبي وغيرهم من العلماء .

في هذا الجو نشأ السيد الخوئي سني شبابه حيث الجو المشحون بالعداء لقوى الاحتلال الكافرة المتمثلة بالانكليز وحيث النجف التي كانت تعيش في أوج تألقها العلمي لوجود عدد كبير من نوابغ العلماء . ولقد استفاد السيد الخوئي من التواجد الفريد والكثيف للعلماء في النجف الأشرف وساعده على ذلك دأبه وطموحه الكبير وقدرات منحه إياها الله تعالى لم تتيسر لغيره . وقال أحد مؤرخي حياته ان «مزاياه العلمية تكاد تكون نادرة في بابها عجيبة في ندرتها ، فرسوخه في العلم وثبات قدمه في المعارف والفنون واضطلاعه بكثير من العلوم العقلية والنقلية يعجب كل إنسان» . ومن ظواهر ذلك النبوغ أن فرغ من تحصيل القسم الأول والثاني المصطلح عليهما في معاهد النجف بالمقدمات والسطوح خلال ست سنوات . وحضر دروس بحث الخارج (وهي الدروس التي يتخرج منها المجتهدون) وهو في سن العشرين فكان من أساتذته كبار علماء ذلك العصر من أمثال الشيخ مهدي المازندراني والشيخ ضياء الدين العراقي والميرزا محمد حسين النائيني . وكان يكتب تقريراته عن دروس الشيخ النائيني بدقة وتحقيق واعتبر من أبرز تلامذة هذا الأستاذ الكبير . وفي الثلاثينات من عمره نال درجة الاجتهاد «الصعب المنال البعيد الشوط» .

ألف السيد الفقيد العشرات من الكتب في الفقه والأصول والتفسير والرجال منها ما كتبه تلاميذه كخلاصات لدروسه في الفقه وأصوله وهي أحد عشر كتاباً في ٢٢ مجلداً في الفقه وستة كتب في الأصول في ١٢ مجلداً . وكتابه البيان في تفسير القرآن (طبع جزء واحد منه) يعتبر من أهم الكتب في تفسير القرآن . وبلغت مؤلفاته ٢٦ مؤلفاً من أبرزها أجود التقريرات في جزئين ومعجم رجال الحديث في ٢٣ مجلداً .

وصف أحد الكتاب السيد الفقيد بأنه المرجع الهادىء لأنه «لم يتصد» للأنظمة السياسية القائمة في العالم الاسلامي ولم ير في المواجهة السياسية المباشرة مع الظالمين بل انه آثر العمل الفقهي والفكري لخدمة العالم الاسلامي وتقديم الخدمات اللائقة لأبناء طائفته . لكن البعض يرى في هذا السلوك «الهادىء» تعبيراً آخر عن معارضة الأنظمة الظالمة في عالمنا الاسلامي وان اختلف أسلوب التعبير . فقد اتخذ السيد الفقيد منهجاً متميزاً في الابتعاد عن الأجواء السياسية بهدف الحفاظ على الحوزة العلمية والحفاظ على ما تبقى من علماء العراق الذين تمت تصفيتهم بصورة لم يشهد لها تاريخ العراق مثيلاً من قبل .

لقد عانت مرجعية السيد الخوئي الكثير ، فهي مرجعية وضعت أمامها الحواجز والمعوقات منذ بدايتها . فحينما برز السيد الخوئي كأحد أكبر الفقهاء المرشحين لزعامة المسلمين الشيعة بعد وفاة المرحوم السيد محسن الحكيم كانت المرجعية الدينية قد تعرضت لأول ضربة قوية على يدي نظام حزب البعث الحاكم في بغداد بعد أن وجه النظام تهماً لنجل مرجع المسلمين آنذاك الشهيد السيد مهدي الحكيم . وكان السيد محسن

الحكيم بصدد تحرك سياسي لزعزعة حكم حزب البعث فحدث الأمر وتسبب في وفاة السيد الحكيم بعد وقت قصير . فكانت المرجعية في خصام واضح مع السلطة في بغداد وحينما استلمها السيد الخوئي كانت الاجراءات الحكومية تطال الحوزة . فقد بدأت هذه الاجراءات القاضية بتفريغ الحوزة العلمية في النجف الأشرف من طلاب العلوم الدينية . وشملت إخراج الطلبة غير العرب من ايرانيين وباكستانيين وأفغانيين ، ثم طالت العرب من غير عراقيين كالخليجيين واللبنانيين وبعدها تم تنفيذ مخطط افراغ المدن العراقية من العلماء إما بالسجن أو القتل أو التشريد والإمام الخوئي زعيم الحوزة العلمية يراقب الوضع وينظر بأسى لما آلت إليه المرجعية والحوزة .

وبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ تحرك الشارع العراقي واشترك العلماء في التحرك فدبت الحيوية في الحوزة العلمية وانتشرت شرارة الثورة في قلوب من تبقى من طلبة العلوم الدينية وتصاعدت أجواء الاحتجاج على السلطة في بغداد . ولكن هذا النظام الخائف من هذه الثورة جمع قواه للمواجهة المصيرية فتم استبدال البكر بصدام حسين في تموز (يوليو) ١٩٧٩ وتمت تصفية من أراد التنازل لإرادة الشعب وكانت أول مهمة قام بها صدام هي التوجه إلى تصفية ما تبقى من المرجعية الدينية في النجف فلجأ إلى اعتقال المرجع السيد محمد باقر الصدر عدة مرات . وفي المرة الأخيرة تم إعدامه ودفن جثمانه في سواد الليل وفي غياب عن أعين أتباعه ومحبيه الذين تعرضوا من بعده لعملية تصفية جسدية قاسية ودموية . وحينما رأى السيد الخوئي هذه الأوضاع التي وصلت إلى إعدام أحد المراجع (الشهيد الصدر وهو من تلامذة الإمام الخوئي) قرر مغادرة العراق ولكن النظام منعه من مغادرة البلد وتم حجز أمواله في البنوك العراقية وكانت تقدر بحوالي مليوني دولار وقطع تلفونه واعتقل بعض أفراد حاشيته وتلاميذه وأعدم البعض منهم . (كتاب الحركة الاسلامية لشيعة العراق تأليف جويس وايلي بالانكليزية) .

جاء الامتحان الآخر بالحرب التي شنها النظام العراقي ضد ايران عام ١٩٨٠ وكان موقف السيد الخوئي يتسم بالشجاعة والصمود فهو لم يؤيد النظام المعتدي ولم يوافق على ابداء رأيه رغم شدة الضغوط والمحاولات . ولقد استفاد السيد الفقيد من الموقف الحرج لنظام بغداد وتمكن من المحافظة على الحوزة بعد أن صغر حجمها كثيراً . فقد أشار التقرير الصادر عن الأمم المتحدة بعنوان تقرير عن حالة حقوق الانسان في العراق وكتبه ماكس فان دير شتوتيل إلى أن عدد علماء الدين الشيعة في النجف كان يتراوح بين ثمانية وتسعة آلاف رجل قبل عشرين عاماً انخفض إلى ألفين بعد عشر سنوات ووصل إلى ٨٠٠ عالم قبل انتفاضة شعبان ١٤١٢ هـ (آذار/مارس ١٩٩١) ، (التقرير صدر في ١٨ شباط/فبراير ١٩٩٢) .

واجهت مرجعية السيد الخوئي امتحاناً صعباً بعد توقف حرب الخليج الثانية فقد أسفرت هذه الحرب عن انتفاضة شعبية عارمة بدأت في مدينة البصرة وانتشرت في جنوب ووسط العراق وكانت المدن المقدسة وغيرها من أوائل المدن العراقية التي استجابت للانتفاضة . وتولى علماء النجف قيادة الثورة وحاولوا ترشيدها بعد ان اتخذت طابع الانتقام من عناصر السلطة في البداية . وكان للسيد الخوئي دور مهم في ذلك ، فقد أمر بتشكيل لجنة من ثمانية من العلماء تتولى أمور إدارة النجف وتشرف على تطبيق الأحكام والأخلاق الاسلامية في التعامل مع عناصر السلطة . وتم من خلال ضبط الأمن في المدينة المقدسة . وحاول مديرو السيد الخوئي توسيع سلطة اللجنة لتشمل مدناً منتفضة أخرى ولكن

النظام لم يترك فرصة لذلك فقد بادر إلى استخدام القسوة المتناهية في ضرب المدن المقدسة بالصواريخ ومدافع الدبابات . ولم يرع لأضرحة أئمة المسلمين حرمة ، فدمرت العتبات المقدسة ومنها مرقد الإمام علي بن أبي طالب (رض) في النجف ومرقدا ولديه الإمام الحسين والعباس (رض) في مدينة كربلاء . وبسبب الهجمات التي قامت بها قوات النظام الخاصة وحرس صدام ذهب مئات الآلاف من القتلى والجرحى ودمرت معالم مهمة في المدن العراقية وهُدمت الجوامع والمكتبات والمراكز الثقافية والحضارية وقتل المئات من العلماء أو تم اعتقالهم . ولجأ النظام إلى منهج لم تجرؤ الأنظمة السابقة على فعله ألا وهو إكراه مرجع المسلمين على الذهاب عنوة إلى بغداد والالتقاء بصدام يوم ٢١ آذار (مارس) ١٩٩١ . وقد تم أسر السيد الخوئي من بيته بعد أن تم احتجازه بواسطة القوات البعثية الخاصة وبطائرات الهليوكبتر . وقد اعتقل معه أكثر من مائة من أبنائه وأفراد أسرته ومسؤولي مكتبه ومن العلماء المرموقين . وأظهر التلفزيون العراقي محاورة بين السيد الخوئي وصدام لم تكن واضحة لكن السيد كان منفعلاً في حديثه . حاول صدام من خلال هذه العملية تحطيم المد الثوري الذي أفرزته الانتفاضة وكانت في عنفوانها . ولقد نجح نظام صدام في ضرب الانتفاضة ولكنه لم ينجح في القضاء عليها . واستعمل النظام آلة القهر والبطش ضد الشعب وحاول تحطيم معنويات الناس من خلال اعتقال زعيمهم فوجه ضربة معنوية عميقة الجرح في وجدان الشعب .

لم يجرؤ النظام العراقي على قتل الإمام الخوئي كما قتل الشهيد الصدر من قبل ولكن الإمام الفقيد عانى كثيراً خلال السبعة عشر شهراً التي عاشها بعد ضرب الانتفاضة . فقد تعرض لضروب المحن والآلام وعاش مع أبناء شعبه وأتباعه فترة عسيرة لم يتعرض العراق لمثلها من قبل ينظر إلى تدمير التراث الذي بناه الآلاف من الصالحين والعلماء على مدى قرون طويلة ويشاهد الدمار الذي حل بالمدن المقدسة وينظر إلى عشرات الآلاف من الضحايا والمفقودين والمسجونين ولا يستطيع فعل شيء . فقد قضى هذه الأشهر المريرة سجين داره لا يعرف عن أفراد أسرته وتلاميذه ومريديه شيئاً ، وتم عزله عن العالم . كانت صحته التي ازدادت تدهوراً مع هذه المحن تزيد الأمر سوءاً على هذا النفس الكبير فسلم الأمانة بعد أن عانى كثيراً .

إن مرجعية السيد الخوئي كانت مرجعية أحاطتها المنغصات ولفت بها المحن والمآسي من كل مكان . وكانت سفينة هذه المرجعية تسير في بحر شديد الأمواج ولكن قائدها وهو المشهور بالحنكة والذكاء المفرط كان يسير بدفّتها بحذر وحكمة رغم هذه الأمواج المتلاطمة والرياح العاصفة ، حتى ان الناظر من بعيد يخيل إليه أن السفينة بلا قيادة ولكن الحقيقة أن القائد اختفى عن الضوء فتمكن من تحقيق ما لم يستطع الكثيرون تحقيقه وعانى ما لم يعانيه غيره فمضى إلى جوار ربه قرير العين نظيف السريرة فرحمه الله وأسكنه جنانه الخالدة .

لندن ـ عبد المنعم حسن

(العالم ـ العدد ٤٤٤ ـ آب ١٩٩٢)

الامام الراحل بصحبة [illegible] السيد جمال الدين [illegible] (قدس الله أسرارهم)